الصِّلات الأدبية بين عرب الحيرة والفرس في العصر الجاهلي

مجلة	
كلية التربية	جامعة الخرطوم
العدد السابع	السنة الخامسة
مارس2013م جمادى الأولى 1434هـ	

د. عائشة يوسف الترابى

قسم التاريخ – كلية التربية

جامعة الخرطوم

الصِّلات الأدبية بين عرب الحيرة والفرس

في العصر الجاهلي

د. عائشة يوسف الترابى
قسم التاريخ – كلية التربية
جامعة الخرطوم

المستخلص

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على الصلات في ميدان الأدب العربي بين العرب والفرس قبل الإسلام، لما لتلك العلاقات من دور واضح في الأطوار المبكرة لقيام الدولة الإسلامية، بخاصة في المجالات السياسية والثقافية. ولما كانت الحيرة المجاورة للفرس من أكبر مراكز الإتصال بين الجانبين في ذلك الوقت, فقد تطرق البحث إلى التعريف بالحركة الثقافية وإبراز دورها في الصلات بين العرب والفرس، ثم تناول البحث نماذج من حكماء وشعراء العرب الذين اتصلوا بالفرس ومساهماتهم الأدبية إلى جانب دورهم في الحياة السياسية والأدبية في فارس.

.....

Dr.....

.....

.....

Abstract

The purpose of this paper is to shed light on the relations between Arabs and Persia in the field of Arabic literature before Islam, since these relations have a clear role in the early stages of Islamic State, especially in the political and cultural aspects Alhera which was near to Persia was the largest centers between Arabs and Persians that time. Then this paper addresses models of sages and Arabs poets, who contacted Persian and their literary contributions, besides their role in political and literary life in Persia.

الصِّلات الأدبية بين عرب الحيرة والفرس

في العصر الجاهلي

المقدمة:

كان للفرس تأثير كبيرعلى المجتمع العربي في العصور الإسلامية الأولى، خاصة في العصر العباسي الأول، وهو العصر الذي تبلور فيه الوجود الفارسي، وانعكس على مختلف أوجه الحياة.

كان تأثير الفرس على حياة العرب موجوداً منذ العصر الجاهلي، فالصلات بينهما أزلية وقديمة، كما أن الوجود الفارسي في بلاد العرب كان قديما أيضا. هذا الوجود وهذه الصلات لا بد أن يكون لها أثرها، ولكن هذا الأثر لم يكن واضحاً، بل يكاد يكون غير معروف لدى كثير من الباحثين، وبالتالي لم يجد حقه من الدراسة الوافية، رغم أن هذا التأثير قد شمل جوانب عديدة سياسية واجتماعية وثقافية ودينية وغيرها. لم يكن حجم هذا التأثير كبيراً، بل يمكن أن نقول إنه تأثير ضعيف إذا ما قورن بأثرهم في العصر العباسي الأول. ولكن رغم ضعفه فإن له أهميته في تحديد حجم استجابة العربي البسيط، وقبوله لمظاهر المدنية والحضارة. هذه الاستجابة يمكن أن نعتبرها من بين الأسس التي بُني عليها المجتمع العربي، الذي تحول من مجتمع بسيط إلى مجتمع إسلامي شامل، جمع في إطاره كل الشعوب، بما لها من تاريخ ومدنية وحضارة تمازجت مع ما جاء به الإسلام من قيم وفكر وحضارة، فكان نتائج ذلك أن صارت للمسلمين أرقى الحضارات الإنسانية المعاصرة .

إزدهار الحياة االأدبية في الحيرة:

كان لموقع الحيرة بين العراق والشام أثر كبير في احتكاك أهلها بغيرهم من الشعوب، إذ تأثروا بالثقافات الفارسية والسريانية واليونانية (السيد عبد العزيز سالم، د.ت، ص 269) و كانوا أرقى عقلاً ومدنية من أهل الحجاز، وذلك لمجاورتهم لمدنية الفرس العظيمة واتصالهم بهم اتصالا وثيقاً.

كان لمعرفة بعض أهل الحيرة باللغة الفارسية أثر كبير في نقل كثير من آداب الفرس إليهم، وكان منهم من يجيد الفارسية، مثل عدي بن زيد الحيري الذي كان من تراجمة أبرويز ملك الفرس، وكان أبوه شاعراً وخطيباً وقارئاً لكتاب العرب والفرس (ابن خلدون ،ص 319))

ذكر أن عرب الحيرة قد تسرب إليهم شئ من علوم اليونان وآدابهم، وذلك أن الحكومة الفارسية في عهد هرمز الأول(276/273م)، أنشأت مستعمرات كونتها من أسرى الحرب الرومانية، وكان من هؤلاء الأسري من تثقف بالثقافة اليونانية ومنهم من كان يفوق الفرس في الفلك والهندسة والطب، فاستخدموهم في مهام شئونهم (أحمد أمين، 1987، ص 18).

كان ملوك الحيرة من البيت اللخمي يشجعون الشعراء بالعطايا والصلات، لذا وفد إليها عدد من شعراء الجاهلية، منهم المرقش الأكبر والأصغر والمتلمس، وطرفة بن العبد، والمنخل اليشكري. وديوان النابغة الذبياني ملئ بالقصائد التي قيلت في مدح النعمان والاعتذار إليه (محمد كرد علي، 1934، ص 122)، كانت الحيرة مركزاً علمياً مهماً للأدباء العرب في الجاهلية، وكان النعمان بن المنذر يجتمع بأدباء العرب في قصره، ويقيم مهرجاناً أدبيا يتفاخر الجميع فيه بالجنس العربي (السيد عبد العزيز سالم، ص 270)، وقد كان لعرب الحيرة وأمرائهم وتاريخهم أثر كبير في الأدب العربي والحياة العقلية للعرب عامة. من ذلك أحاديث جُذيمة الأبرش وأساطير الزباء، والخورنق والسدير، والتغني بعظمتها والأقاصيص حول سنمار، كل هذه وأمثالها، شغلت جزءً كبيراً من الأدب العربي (احمد أمين، ص31) وكلها تتعلق بعرب الحيرة وحياتهم.

الكتابة في الحيرة:

كان الخط العربي قد بلغ درجة من الإتقان والجودة في دولة التبابعة في اليمن، لما بلغت من الحضارة والرقي، وهو المسمى بالخط الحميري، وانتقل منها إلى الحيرة لوجود المناذرة نسباء التبابعة، ولكن لم يكن من الإجادة كما كان عند التبابعة (ابن خلدون ص 28).

تشير المصادر إلى أن منشأ الخط العربي كان في اليمن، ثم انتقل منها إلى العراق حيث تعلمه أهل الحيرة، ومنهم تعلمه أهل الأنبار، ثم منهم تعلمه جماعة نقلوه إلى الحجاز، فالأصل هو القلم المسند الذي بلغ جودته في دولة التبابعة، لما بلغت من

الحضارة والترف (جواد علي، ص 1204)، لقد كان بين أهل مكة وعرب العراق لا سيما الحيرة والأنبار اتصالاً وثيقاً، فتجار مكة كانوا يأتون بتجارتهم إلى الحيرة والأنبار ويقيمون بهما، فلا يستبعد تعلمهم أو تعلم بعضهم الخط من الحيرة، فقد كان أهل العراق يكتبون، ولهم مدارس لتعليم الكتابة ملحقة بالكنائس والأديرة. بعض المصادر تذكر أن بشر بن عبد الملك أخو أكيدر صاحب دومة الجندل، تعلم الكتابة من أهل الأنبار، وخرج إلى مكة، وتزوج الصهباء بنت حرب بن امية ، وتعلم منه حرب الكتابة ومن حرب تعلم إبنه أبو سفيان ،ومنه تعلم معاوية بن أبي سفيان، ثم انتشرت في قريش.

يقول آخرون أن أصل الخط العربي من الأنبار، وقد سكن الحيرة والأنبار بقايا العرب العاربة، وكثير من المستعربة فنقلوا الخط، إن جمهور المستشرقين الذين اهتموا بتطور الخطوط، ومنشأ الخطوط العربية، رأوا أن الخط العربي الذي دوّن به القرآن، أخذ من الخط النبطي المتأخر الذي كان يستعمله النبط، وهو خط تولد من الخط الأرامي، (المصدر السابق، ص ص 1205، 1210).

يقول جواد علي "عندي أن النبط عرب بل هم أقرب إلى قريش وإلى القبائل الحجازية التي أدركت الإسلام، من العرب الذين يعرفون بعرب الجنوب، والنبط يشاركون قريش في أكثر أسماء الأشخاص، كما يشاركونهم في عبادة أكثر الأصنام، بجانب وجود كلمات عربية كثيرة في النصوص النبطية المدونة بالأرامية، وخط النبط قريب جداً من خط كتبة الوحي" (ص 459).

بما أن الكتابة قد انتقلت من الحيرة إلى مكة بناءً على ما ذكر سابقاً، من وجود علاقات تجارية ربطت بين أهل مكة والحيرة، فهذا يعني أن أهل الحيرة قد كتبوا بالخط النبطي المتأخر، وربما كان ذلك بعد استخدامهم للخط المسند الذي انتقل إليهم من اليمن، وقيل أنه لم يكن من الجودة كما كان في دولة التبابعة.

وجدت في أوائل القرن الرابع الميلادي على قبر امرئ القيس بالنّمارة في الشام التي تقع في الحرة الشرقية من جبل الدروز، خمسة أسطر منقوشة بالحرف النبطي واللسان العربي الشمالي، وليس باللغة الحميرية أو الحرف المسند، بل منقوشة باللغة العربية الشمالية أو لغة عدنان، وبالحرف النبطي الذي كان يكتب به عرب الشمال. تعتبر هذه أقدم كتابة عربية شمالية قرأوها منقوشة على الآثار (جرجي زيدان، د.ت، ص 277)وهذا نصها بالحرف العربي:-

1/ تي نفس والقيس بن عمرو ملك العرب كل ذو أسر ألتج.

2/ ملك الأسدين ونزرو وملكهم وهرب مزحجو عكدي وجاء.

3/ يزجى في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه.

4/الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

5/ عكدي ترك سنة 223، يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولده.

وتفسيرها باللغة العربية الشمالية:ــ

1/ هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج.

2/ واخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكهم وهزم مذجح بقوته وقاد.

3/ الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر واخضع معدا واستعمل أبناءه.

4/ على القبائل ووكلهم لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

5/ في القوة. توفي سنة 223، في اليوم السابع من بكسلول (ايلول) ليسعد الذي ولده (جواد علي، ص ص512/513).

امرؤ القيس بن عمر بن عدي هو ثاني ملوك الحيرة، والذي بلغت دولة الحيرة في عهده أقصى اتساعها، والنصوص أعلاها تشير إلى ذلك، كما تشير إلى استخدام الحيريين للخط النبطي في كتاباتهم.

الشعراء العرب في الحيرة:

كان تأثير الحيرة في ثقافة العرب كبيراً، فقد كانت المركز الأدبي الذي يشع منه الشعر إلى جميع الأنحاء، وكان ملوك الحيرة من البيت اللخمي يشجعون الشعراء بالعطايا والصلات، لذا وفد عليهم عدد كبير من شعراء الجاهلية، الذين كان اغلب شعرهم في مدح هؤلاء الملوك والأمراء والقواد، سعياً وراء الهبات والعطايا، وقد يقدم الشاعر حياته ثمناً لذلك. فإذا مدح الشاعر الملك أو الأمير ولم يمنحه ما يستحقه أو ما يصبو إليه، أو حدث بينهما أي خلاف، لا يتردد الشاعر في هجائه، وقد يكون في ذلك هلاكه. وقد حدث ذلك لكثير من الشعراء في العصر الجاهلي، كالشاعر طرفة بن العبد عندما هجا الملك اللخمي عمرو بن هند. ولم يكن ذلك قاصراً على الشعراء الجاهليين، فبعد الإسلام كان يحدث ذلك أيضا.

من الشعراء الذين قصدوا الحيرة ومدحوا ملوكها أو أمرءها أو قوادها، المرقش الأصغر وعمرو بن قميئة، والمتلمس، وطرفة بن العبد، والمرقش الأكبر الذي تعلم الكتابة على يد نصراني من أهل الحيرة (الأصفهاني ص181)، والمنخل اليشكري، والنابغة الذبياني وعنترة العبسي وغيرهم. لقد وجد معظم هؤلاء كرماً لا يلقاه إلا الأمراء (جورج فارمر 1956م، ص12. من أشهر شعراء الحيرة نفسها عدي بن زيد العبادي، وعدي بن حرينا، (وقد ورد ذكرهما سابقاً)، وإياس بن قبيصة (سالم ص27).

من أكثر الشعراء شهرة ومكانة في بلاط الحيرة، هو الشاعر النابغة الذبياني، وذلك لصلته بالنعمان بن المنذر ملك الحيرة. والنابغة هو زياد بن معاوية بن جناب الذبياني، وكنيته "أبو أمامة" ولقب بالنابغة لقوله: فقد نبغت لهم منا شئون (الأصفهاني، ص154) وقيل سمي بذلك لنبوغه في قول الشعر. وهو أحد شعراء الطبقة الأولى المقدمين على كل الشعراء، وكان النابغة شاعر بلاط كما يقولون، وذلك على كثرة تردده على قصور الملوك في العراق والشام، يمدحهم ويأخذ جوائزهم وصلاتهم (كرم بستاني 1963م، ص6). قربه النعمان إليه وجعله من حاشيته، وكان ينادمه ويأكل معه وكان النابغة أول شاعر تكسب بشعره، فكثر ماله وقد جر عليه تقربه من النعمان وإغداق النعمان عليه حسد من حوله من الشعراء خاصة المنخل اليشكري وأبناء عوف بن قربع الذين كانوا من بطانته، وكان المنخل مقرباً من النعمان والذى كان يفضل قصائد النابغة، فسعى المنجل لإبعاده عن النعمان. كان النابغة قد نظم قصيدته الشهيرة في المتجردة زوجة النعمان، عندما طلب منه النعمان وصفها فوصفها في قصيدة طويلة مطلعها:ـ

أمن آل أوفى رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود (الأصفهاني، ص93)

فاتخذها المنخل وسيلة للإيقاع بالنابغة، وكان المنخل يهوى المتجردة، فأوغر صدر النعمان ضد النابغة فهرب. كما نظم أبناء عوف قصيدة هجوا فيها النعمان ونسبوها للنابغة،فزاد ذلك من غضب النعمان، وذهب النابغة لملوك الغساسنة يمدحهم، وبقى فترة حتى رضي عنه النعمان، فعاد ينظم القصائد في مدحه.

لم تكن الحيرة ملتقى الشعراء العرب فقط، بل كانت مركزاً علمياً مهماً، وملتقى الأدباء العرب في الجاهلية. وكان النعمان يجتمع بأدباء العرب في قصره الخورنق ويقيم مهرجانات أدبية ويتفاخر فيها بالجنس العربي، وقد كان من خيرة خطباء زمانه (جواد 1955م، ص93). استعان النعمان بالشعراء العرب لمواجهة

صلف كسرى وغروره، عندما قدم النعمان على كسرى، فحاول كسرى التقليل من مكانة العرب وتحقيرهم،فوقف النعمان وافتخر بالعرب، وفضلهم على الجميع،وذكر من مآثر العرب وفضائلهم حتى بُهت كسرى. لم يكتف النعمان بذلك، فقد أرسل إلى شعراء العرب وخاطبهم بعد عودته، واجتمع بهم في قصره واخبرهم بما جرى بينه وبين كسرى (ابن عبد ربه 1940م، ص231).

وهكذا كان لشعراء العرب وأدبائهم دوراً مهماً في العلاقات العربية الفارسية في تلك الفترة.

شخصيات عربية في البلاط الفارسي:

عدي بن زيد:

لم تقتصر معرفة أهل الحيرة على الكتابة العربية فقط، بل تعلم عدد منهم الكتابة الفارسية وأجادوها، وقد ساعدهم على ذلك الاتصال بالفرس والاستفادة منهم كما استفاد الفرس أيضا من هؤلاء، نتيجة لجهل الفرس باللغة العربية، والتي يحتاجون إليها في تعاملهم مع العرب الذين تربطهم بهم صلات متعددة.

من هؤلاء عدي بن زيد بن حماد العبادي، وقد كان نصرانياً هو وأسرته، فهم من عباد الحيرة، كما كان جده أيوب من بني امرئ القيس بن زيد في اليمامة، دفعت جده الظروف إلى السفر للحيرة، واتصل بأوس بن قلام من بني الحرث بن كعب، واشترى له داراً استقر بها. اتصل أيوب بملوك الحيرة وكان له ابن عم يدعى زيداً، نال نفس المكانة التي كانت لأبيه عند ملوك الحيرة، وتزوج أيوب من آل قلام، وولد إبنه حماد، وقتل أيوب على يد رجل من امرئ القيس للثأر على والده،(المصدر السابق ص18).إهتمت أم حماد به وعلمته القراءة والكتابة، فكان أول من كتب من بني أيوب، وحذق الكتابة، وأصبح كاتباً للنعمان الأكبر ملك الحيرة، تزوج حماد من قبيلة طي، وولد ابنه زيد. وكان له صديق من أعظم دهاقين الفرس يقال له فروخ هامان أوصى بابنه زيد إليه عندما حضرته الوفاة، فرباه الدهقان مع أولاده، وكان زيد يجيد الكتابة العربية قبل أن يأخذه الدهقان، فعلمه الفارسية فأجادها (الأصفهاني ص19). كان زيد فطناً ،فقدمه الدهقان لكسرى بعد أن وصف له ذكاءه وفطنته، وعرض على كسرى أن يعينه على بريده، وكان كسرى لا يعطي هذه الوظيفة إلا لأبناء المرازبة (بروكلمان 1968، ص124) ولكنه وافق على تعيين زيد.

استطاع زيد أن يكسب ثقة كسرى فقربه إليه، وعندما مات النعمان ملك الحيرة، اختلف الحيريون فيمن يولونه حتى يتم اختيار الملك الجديد، فأشار الدهقان بزيد، وفعلاً حكم زيد الحيرة إلى أن اختير النعمان بن المنذر (جاد المولى وآخرون 1942، ص8).

تزوج زيد وولد له ولد أسماه عدياً، وعندما شب، علمه والده الكتابة العربية، وأرسله إلى المرزبان الذي أرسله بدوره إلى كُتاب الفارسية، فتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى أتقنها. تأدب على طريقة نبلاء الفرس، فتعلم الرمي بالنشاب، ولعب الفرس على الخيل بالصوالجة وغيرها. وعرضه المرزبان على كسرى، وتحدث معه وأعجب كسرى بجماله، فقد كان حسن الوجه، مديد القامة، حلو العينين، حسن الجسم وكان الفرس يتبركون بالوجه الجميل (ندا ص25).

أقام عدي بإيوان كسرى بالمدائن، وكان والده ما زال حياً، ولكن صيت عدي طغى على ذكر أبيه، وكان عدي إذا دخل على النعمان بن المنذر، قام جميع من كان معه حتى يقعد عدي، وكان يقيم في الحيرة أحيانا بعد أن يستأذن كسرى.

كان عدي شاعراً فصيحاً، قال أول شعره عندما أرسله كسرى في سفارة إلى القسطنطينية (بروكلمان، ص124)، وعند عودته وجد أن أباه قد مات، ولكنه لم يستقر في الحيرة ليحل محل أبيه، وإنما ظل متنقلاً بين الحيرة والمدائن. كان لعدي أخوان يعملان في بلاط كسرى. وقد جعل المنذر ابنه النعمان في حجر عدي بن زيد (ابن أبي يعقوب، ص241)، وعندما مات المنذر كان له عشرة أولاد، ولكن عدياً لجأ إلى الحيلة إلى أن نجح في إجلاس النعمان على العرش، وقد أغضب ذلك عدياً بن حرينا الذي كان قد قام بتربية الأسود بن المنذر، وكان يريد له الملك. فقام ابن حرينا بتدبير مؤامرة كانت نتيجتها قتل عدي بن زيد على يد النعمان نفسه.

نشأة عدي وتأدبه بأدب الفرس، وإجادته الفارسية لفظاً وكتابةً، وتنقله في بلاط الأكاسرة أثّرعلى شعره العربي، ومن ذلك قوله في قصيدة قالها وهو في الحبس عندما سجنه النعمان:ـ

أرقت لمكفهر بات منه *** بوارق يرتضين لسان شيب

تلوح المشرفية في ذراه *** ويجلو صفح دخدار قشيب

والدخدار كلمة فارسية تعني الثوب (الأصفهاني، ص23). وله أشعار يسودها طابع التفكير في الفناء والموت، فقد خرج مرة مع النعمان للنزهة، ومرا على مقابر في ظهر الحيرة فقال عدي للنعمان أتدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال: لا قال: إنها تقول:ـ

أيها الركب المجنون *** على الأرض المجدون

كمـا أنـتـم كـــنـا *** وكـمـا كـنا تكـــونون

وقد قال في تلك المقابر مرة أخرى:ـ

رب ركب قد أناخوا *** يشربون الخمر كالماء الزلال

وأباريق عليه قدم *** وجياد الخيل تردي في الجلال

عمروا دهرهم بعيش حسن *** أفنى دهرهم غير المجال

ثم أمضوا عصف الدهر بهم *** وكذاك الدهر يودي بالرجال

(الأصفهاني،ص24).

ومن أشعار عدي التي نرى فيها الأثر الفارسي واضحاً، والتي يذكر فيها ملوك الفرس، وما كان لهم من مجد وعظمة انتهت إلى زوال، قوله:ـ

أين كسرى الملوك أنو شروان *** أم أين قبله سابور

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم *** لم يبق منهم مذكور

وأخو الحضر إذ بناه ودجلة *** تجبي إليه والخابور

ساده دهراً وجلله كلساً *** فللطير في ذراه وكور

لم يهبه رب المنون فباد *** الملك عنده فبابه مهجور

كان لعدي بن زيد ولد يقال له (زيد)، التقى به النعمان بن المنذر مصادفة بعد مقتل والده وبعد أن ندم على فعلته، وأراد التكفير عنها، فأرسله إلى كسرى بعد أن كتب له رسالة يذكيه فيها، وطلب منه أن يجعله مكان أبيه، وأصبح زيد يقوم بالكتابة نيابة عن كسرى إلى ملوك العرب في الأمور التي تخصهم، كما كان يشرف على تجارة العرب معه (المصدر السابق، ص ص32-33)، وحل زيد بالتدريج محل

أبيه، وأصبح من المقربين، وذوي الشأن في بلاط كسرى وساعده ذلك على تدبير المؤامرة التي انتقم فيها لوالده من النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

لقيط الإيادي:

من الشخصيات العربية التي لمعت في البلاط الفارسي لقيط بن يعمر الإيادي, وهو شاعر من أهل الحيرة تعلم اللغة الفارسية وأجادها، واشتغل بالترجمة والكتابة لكسرى سابور ذي الأكتاف، وكان بحكم عمله بالقرب من سابور من المطلعين على أسرار الدولة (ندا، بدون تاريخ، ص225).

عندما كان سابور صغيراً استغلت إياد صغر سنه، وضعف من كانوا يقومون على أمره، فتعددت غاراتها على سواد العراق، تسلب وتنهب من خيرات السواد، ويقال أنهم اخذوا في إحدى غاراتهم، امرأة من أشراف العجم (الأصفهاني "بدون تاريخ" ص23) فهاجمتهم القوات الفارسية القريبة منهم، ولكنهم هزموهم، وعندما بلغ كسرى الخبر أرسل إليهم مالك بن الحارث ومعه قوة من الأساورة، (المصدر السابق، ص ص24/23) ولكنها لم تستطع إبعادهم عن السواد، فقرر سابور الخروج إليهم بنفسه، فأرسل لقيط إلى أهله محذراً، بعد أن علم بذلك بحكم قربه من سابور واطلاعه على أسرار دولته، قال لقيط:ـ

سلام في الصحيفة من لقيط *** إلى من بالجزيرة من إياد

بأن الليث يأتيكم دلاقا *** فلا يحبسكم شوك القتاد

أتاكم منهم سبعون ألفا *** يجرون الكتائب كالجراد

على خيل ستأتيكم فهذا *** أوان هلاككم كهلاك عاد

(المسعودي،ص255).

هذه الأبيات فيها تحذير لقيط لقومه، وما أعده سابور من جيوش وخيل وعتاد، فهو قدر الجيوش بسبعين ألفا، مع الخيل والكتائب، ومعرفة لقيط الإيادي بكل ذلك يدل على أهمية الدور الذي كان يقوم به، ومدى قربه من كسرى، ومعرفته لأدق أسراره التي لا يمكن أن يطلع عليها إلا المقربون منه.رغم هذا التحذير إلا أن قبيلة إياد استمرت في غاراتها على السواد، فأرسل لقيط إلى أهله مرة أخرى قائلاً:ـ

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا *** لمن رأى الرأي بالإبرام قد نفعا

هو الجلاء الذي تبقى مذلته *** إن طار طائركم يوما وإن وقعا

هو الفناء الذي يجتث أصلكم *** فمن رأى فعل ذا يوماً وإن وقعا

فقلدوا أمركم لله دركم *** رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
(الأصفهاني، ص24)

وقد علم سابور بما كان يقوم به لقيط من تحذير لقومه، فقبض عليه وقتله، وسار نحو إياد ونكل بهم أشد تنكيل وأباد أكثرهم

النضر بن الحارث:

مما يدل على الصلات الأدبية بين العرب والفرس، إن العرب منذ الجاهلية قد عرفوا أخبار الفرس وقصص أبطالهم كقصة رستم واسفنديار، وهي من أروع قصص الأدب الفارسي. لقد كان النضر بن الحارث بن كلدة، كثير الذهاب إلى بلاد فارس، ويجيد اللغة الفارسية، كما تعلم العبرية واطلع على الفلسفة وأجزاء الحكمة، وتعلم من أبيه ما كان يعلمه من الطب وغيره،وكان يعاشر الأحبار والكهنة (ابن أبي أصيبعة 1965، ص167).

كان النضر بن الحارث يشتري كتب الأعاجم ويقرأها، بحكم معرفته باللغة الفارسية، وحفظ قصصهم وأساطيرهم، كان يرويها لأهل مكة عند عودته. وعندما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته، وكان يجتمع بالناس، ويحدثهم بالقصص التي وردت في القرآن، ويحذرهم مما أصاب القوم الذين كفروا بربهم، ويضرب لهم الأمثال بالويل والثبور الذي أصاب من طغوا واستكبروا وصدوا عن سبيل الله (ابن هشام، بدون تاريخ ص321). كان النضر بن الحارث يسعى لإبعاد الناس عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان يجمعهم بدوره ويجلس إليهم ويقول: يحدثكم محمد بأخبار عاد وثمود، وأنا أحسن حديثاً منه، هلموا إلي أحدثكم بأخبار رستم واسفنديار والأكاسرة (المصدر السابق ص321). يقول بعض المفسرين انه قد نزل في شأن النضر بن الحارث قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين) (لقمان: 6)

ومن الوسائل التي كان يحارب بها النضر بن الحارث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أنه كان يشتري المغنيات، وإذا علم بان أحداً يريد الدخول في الإسلام،

يذهب إلى مغنية ويقول لها: أطعميه واسقيه وغنيه، ويقول له: هذا خير لك مما يدعو إليه محمد من الصلاة والقيام، وان نقاتل بين يديه (ناصر الأسد 1969، ص131).

بهرام جورالفارسي في بلاط الحيرة:

مما يدل على العلاقات الطيبة وحسن الجوار بين العرب والفرس مما حدث في أيام يزدجرد بن سابور(421/399م) الذي عهد بتربية ابنه بهرام إلى العرب (الطبري "بدون تاريخ" ج4، ص608). رغم ما تتمتع به بلاد فارس من حضارة ومدنية، وما يتصف به العرب من بداوة وخشونة، والسبب في ذلك أن يزدجرد لم يكن يعيش له ولد. فلما ولد له بهرام جور أحبه وخاف عليه، فأمر المنجمين بأخذ طالعه، والنظر في نجمه (الثعالبي، 1963م، ص489)، فأشاروا عليه بضرورة تربية ابنه بعيداً عن بلاده، بمكان يتمتع بجودة هوائه ونقاء تربته، ففكر أن يرسل ابنه إلى من يجاوره من العرب أو الروم، ووقع اختياره على العرب، فأرسله إلى النعمان بن المنذر (ابن الأثير 1965، 1، ص400) وأمره بالعناية به واختيار أفضل الأماكن لينشأ فيها. اهتم النعمان بتربيته، واحضر له المعلمين، فعلموه الكتابة والرمي بطلب من بهرام جور نفسه (المصدر السابق ص401)، كما احضر له حكيماً من حكماء فارس، فاستوعب كل ما علمه له، وأحضر له محدثين من العرب، ووعى كل ما استمع إليه، وتثقف بكل ما عُلِّم. وعندما بلغ الثانية عشر فاق كل معلميه ومن أحضر إليه من رجال العلم والأدب، كما تعلم الفروسية وتفوق فيها ويقال أن يزدجر أمر ببناء الخورنق لينشأ فيه ابنه (الطبري ج2، ص72) وهو قصر كبير بالحيرة.

بعد وفاة يزدجر لم يرد الفرس تعيين ابنه بهرام الموجود في الحيرة لسوء سيرة يزدجر في دولته، واختاروا رجلاً من أشراف الفرس يدعى خسرو (الثعالبي ص550). وعندما علم بهرام بذلك قال للنعمان: أن لي عليك حقاً إذا كنت احد أولادك، وان أبي قد مات، وملكت الفرس رجلاً من غير بيت الملك، فإن خذلتني ذهب ملك آل ساسان (الجاحظ 1964م، ص164-165). فجهزه النعمان بعشرة آلاف من الفرسان العرب، ومعهم ابنه المنذر، وعندما وصل المدائن، وعلمت الفرس بذلك خرجوا لهم، وكان المنذر سفيراً بينهم وبين بهرام جور، والتقوا ببهرام وتحادثوا معه، وقد أعجبهم ذكاءه وعلمه وحسن إدراكه للأمور، ورفضه لسلوك والده. وقد اقترح بهرام جور عليهم وضع التاج بين أسدين ضاريين، ومن يأخذ التاج من براثن الأسد يكون هو الملك (الثعالبي، ص552)، وتقدم بهران جور وأخذه، فكان خسرو أول من بايعه، وانصرف المنذر بجيوشه إلى الحيرة، ونصحه بان يعفو عن حقوقه، وبذلك فقد كسب قلب الخاصة، كما كسب قلب العامة بأعطياته، وتخفيضه للضرائب،

وأصبحت للحيرة مكانة خاصة عند الفرس (Delacy Oleary,1939, p158)، وكانت فترة حكمه(421-438م).

أما بالنسبة للجانب الأدبي في حياة بهرام جور، فقد تعلم لغة العرب وشعرهم، واخذ من الشعر العربي بالحيرة (عزام وآخرون 1938م، ص143)، وعاب عليه علماء فارس ذلك، واستهجنوه منه، ونهوه عنه، فهو قد تعلم علومهم وتأدب بأدبهم. يقول الثعالبي: كان بهرام جور منقطع النظير في الملوك، جامعاً للآداب، فصيحاً باللغات، فكان يتكلم في يوم الحفل والاحتشاد بالعربية، وفي يوم القرض والعطاء بالفارسية،وعند الضرب بالصوالجة بالفهلوية، وفي الطب بالهندية (الثعالبي ص555) ويقال أن خاتمه كان مكتوباً عليه. بالأفعال تعظم الرجال (المسعودي ج1، ص261).

ومن أشعار بهرام جور يوم انتصاره على خاقان الترك وقتله:ـ

أقول له لما فضت جموعه *** كأنك لم تسمع بصولات بهرام

فإني حامي ملك فارس كلها *** وما خير ملك لا يكون له حام

ومن أقواله أيضا:ـ

لقد علم الأنام بكل ارض *** بأنهم قد أضحوا لي عبيدا

ملكت ملوكهم وقهرت منهم *** عزيزهم المسود والمسودا

فتلك أسودهم تقضي حذارا *** وترهب من مخافتي الورودا

وكنت إذا تشاوس ملك ارض *** عبأت له الكتائب والجنودا

فيعطيني المقادة أو أراني *** به يشكو السلاسل والقيودا

(المصدر السابق, ص261). ويذكر أن له اشعاراً كثيرة بالعربية والفارسية.

الشعراء العرب في بلاط كسرى:

كان الشعراء العرب يجوبون البلاد، ويتصلون بالفرس والروم عن طريق التجارة، وكان لهذه الرحلات أثرها في شعرهم، فقد تأثروا بما شاهدوه في تلك البلاد من مدنية وحضارة نجدها واضحة في أشعارهم سواء في التشبيهات أو الأوصاف التي استعاروها، أو في الكلمات الفارسية أو الرومية أو غيرها التي ادخلوها في شعرهم العربي، ومن ذلك إحدى قصائد الأعشى التي يتغزل فيها ويصف إحدى صويحباته:ـ

ترى الخز تلبسه ظاهر وتبطن من دون ذاك الحريرا

إذا قلدت معصمها يارقين فصل بالدر فصلاً نضيدا

وجل زبرجدة فوقه وياقوتة خلت شيئاً نكيرا

فيذكر الخز والحرير، وهي أنواع لم يعرفها العرب ولم يعتادوا عليها، ويذكر اليارقين وهو السوار (الجوهري 1956م، ص1571).

ويقول في قصيدة أخرى:ـ

تهالك حتى تنظر المرء عقله وتصبي الحليم ذا الحجي بالتنقل

إذا لبست شيدارة ثم أبرقت بمعصمها والشمس لم ترجل

وألوت بكف في سوار يزينها بنان كهداب الدمقس المفتل

رأيت الكريم ذا الجلالة رانيا وقد طار قلب المستخف المعذل

والشيدارة: برد تلقيه المرأة على كفها من غير كمين (محمد حسين 1950م، ص352) والدمقس هو الخز (الجوهري، ج2، ص928) وهو الحرير الابيض.

ويقول المنخل اليشكري في إحدى قصائده:ـ

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحرير

ويقول لبيد:

فخمة زفراء تركت بالعري قردمانيا وتركيا كالبصل

القردمانية: سلاح يتخذه الأكاسرة في خزائنهم لوقت الحاجة.

ويقول طرفة بن العبد:ـ

خذوا حذركم أهل المشقر عبيد إسبذ والقرض يجري من القرض

إسبذ: معرب آسب وهو الفرس أو الجواد (محمد التونجي 1969م، ص86).

ويقول المرقش الأصغر:ـ

ويخرج الدخان من ظلل الستر كلون الكودن الأصم

الكودن هو: البرذون الذي يخالط حمرته بياض (المفضل الضبي 1983م، ص242).

هذه بعض النماذج للتأثير الفارسي على شعر الشعراء الجاهليين، وقد ذكر المؤرخون كثيراً من الرحلات والزيارات التي قام بها الشعراء العرب إلى بلاد فارس، ووصلوهم إلى البلاط الفارسي ولقاءاتهم مع أكاسرة الفرس.

من اللقاءات المهمة التي جرت بين الشعراء العرب وكسرى ذلك اللقاء الذي اعد له النعمان بن المنذر كما ذكرت سابقاً، والذي استدعى له فطاحلة الشعراء في ذلك الوقت ومن الذين أرسلهم النعمان إلى كسرى من أدباء وشعراء الجاهلية، اكثم بن صيفي، وحاجب بن زرارة من تيم، والحارث بن عبادة وقيس بن مسعود من بكر، وخالد بن جعفر، وعلقمة بن علاقة، وعامر بن الطفيل من عامر، وعامر بن الشريد السليمي، وعمر بن معد يكرب الزبيدي، والحارث بن ظلم المرئ (ابن عبد ربه ص 231). قدم هؤلاء إلى النعمان فاخبرهم بان ديار الأعاجم كما يعلمون قريبة منهم، وانه سمع من كسرى قولاً ربما يشير لطمع كسرى فيهم (المصدر السابق ج1، ص238) وأنه قد وقف في الرد عليه، ولكنه يريد أن يذكروا أمامه مرة أخرى قوة العرب وعزتهم ومنعتهم، وعراقة أصلهم، حتى لا يستهين بهم، وأمرهم أن يسيروا إليه ويردوا عليه شريطة أن لا يثيروا غضبه، وكتب معهم كتاباً لكسرى. واستقبلهم كسرى، واعد لهم مجلساً حضره كبار دولته، وأذن لهم في الحديث. قام أولاً أكثم بن صيفي، وكان من أبلغ حكماء العرب، واعرفهم بأنسابهم، وأكثرهم ضرباً للأمثال وإصابة رأي، وقوة حجة (الإسكندري وعناني "بدون تاريخ" ص32)، كما كان رفيع المكانة في قومه يعد من أشرافهم، وقد تزعم الخطباء الذين أرسلهم النعمان،

وكانوا جميعاً من أميز خطباء عصرهم، قال أكثم:"إن أفضل الأشياء أحسنها، وأفضل الخطباء أصدقهم، الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشر لجاجة، والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطئ ..." واستمر أكثم في ضرب الأمثال، وقول الحكم، حتى قال له كسرى: لو لم يكن للعرب غيرك لكفى (ابن عبد ربه ص233).

قام بعده حاجب بن زرارة وهو سيد من سادات تميم، وكان قدم على كسرى قبل ذلك حين منع كسرى تميم من ريف العراق، حتى أصابهم القحط، وقد أعجب به كسرى، ومنحه مطلبه، وتعهد له حاجب بمراعاة قبيلته لحسن الجوار، ورهن عنده قوسه في مقابل ذلك وقد قبلها كسرى وبقيت عنده حتى أخذها ابنه عطارد بعد وفاة والده، ثم بيعت بعد ذلك بأربعة ألف درهم (الاسكندري وعناني، ص27).

قال حاجب مخاطباً كسرى:"وري زندك، وغلت يدك، وهيب سلطانك إن العرب أمة قد غلظت أكبادها، واستحصدت مرتها، ومنعت درتها، وهي لك دامغة ما تألفتها، مسترسلة إذا لاينتها،سامحة ما سامحتها،وهي العلقم مرارة، والصبابة غضاضة، والعسل حلاوة "(ابن عبد ربه، ص233-234). واستمر حاجب في خطبته، وقد كان واضحا انه يريد أن يجعل كسرى يحس بهيبة العرب وسطوتهم، تتابع بعده الخطباء واحداً بعد الآخر، كل لا يقل عن سابقه، يشيدون بمجد العرب وقوتهم وعزتهم، وفضلهم على غيرهم، إلى أن وقف قيس بن مسعود الشيباني، وبدأ في مخاطبة كسرى إلى أن قال: لتعلم أنت ورعيتك، ومن حضرك من وفود الأمم، إننا في النطق غير محجمين، وفي البأس غير مقصرين، إن جورينا فغير مسبوقين، وإن سوقينا فغير مغلوبين. فقال له كسرى: غير انك ما إذا عاهدتم غير وافين، وهو يعرض به في تركه الوفاء بضمان سواد العراق. واستمر الجدل بين قيس بن مسعود وكسرى إلى أن قال كسرى: كيف رأيت حاجب بن زرارة، ألم يحكم قواه فيبرم، ويعهد فيوفي، ويعد فينجز؟، قال قيس: وما افقه بذلك، وما رأيته إلا لي، قال كسرى: القول بذل، فأفضلها أشدها (المصدر السابق ، ص236-237).

بعد أن ألقى جميع الخطباء خطبهم، واستمع لهم كسرى وخاطبهم وجادلهم كثيراً، قال في نهاية ذلك: قد فهمت ما نطق به خطبائكم، وتميز به متكلموكم، لولا أني أعلم الأدب لم يثقف أودكم، ولم يحكم أمركم، وإنه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم وطباعكم، لم اجز لكم كثيراً مما تكلمتم به، وإني لأكره أن أجبه وفودي، أو أحنق صدوركم، والذي أريده هو إصلاحكم وتآلف شواذكم، والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم،وقد قبلت ما

كان من منطقكم من جواب، وصفحت عما فيه من خلل، فانصرفوا إلى ملككم، وأحسنوا مؤازرته، والتزموا طاعته، وراعوا سفهاءكم، وأقيموا أودهم، فإن في ذلك صلاح العامة، (المصدر السابق، ص238).

يتضح من مجريات الحوار والجدل الذي دار بين كسرى والشعراء والأدباء العرب انه كان هنالك ترجماناً بينهم وبين كسرى، لأنه لم نجد بالنصوص ما يشير الى معرفة كسرى بالعربية، أو معرفة هؤلاء بالفارسية، ولكن هذا لم يمنع أن يكون هنالك حواراً هدف منه العرب إظهار قوتهم ومنعتهم حتى لا يستهين بهم كسرى.

هذا الحوار الذي جرى بين قيس وكسرى، وما حدث بين كسرى وحاجب بن زرارة قبل ذلك يؤكد أن العلاقات بين العرب والفرس لم تكن دائماً علاقات حرب، يعتدي فيها كل على الآخر، وإنما كانت تتخللها فترات سلم، يعقد فيها ما يشبه المعاهدات، أو الاتفاقيات، والتي يتعهد فيها العرب بعدم الإعتداء على سواد العراق الذي كانوا يقومون دائماً بالهجوم عليه في أوقات القحط. وفي مقابل تعهدهم بعدم الاعتداء يسمح لهم الفرس بدخول السواد، ودولة المناذرة في الحيرة خير مثال للعلاقات الدائمة بين العرب والفرس، والمعاهدات التي كانت تتم بين الطرفين وإن كان يسودها أحيانا التوتر.

يتضح أيضاً من الحوار أن كسرى كان يريد أن يؤكد أنه ليس لديه مانع أن تستمر علاقات حسن الجوار بينه وبين العرب، بشرط أن لا يتعدى العرب، والذين أشار إليهم بالسفهاء على أرضه وان يحافظوا على هذه العلاقات الحسنة.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة يتضح أن الصلة كانت وثيقة ومنتظمة بين ملوك الحيرة وملوك فارس، فقد كانت هنالك مصالح مشتركة بين الطرفين، فرضها حسن الجوار، فدولة الحيرة قامت في الحدود بين فارس والعراق، وخضع ملوكها للأكاسرة، وهذا أدى للاتصال المباشر بينهما. فالعلاقات لم تختصر على الجانب السياسي فقط بل شملت النواحي الاجتماعية والثقافية وغيرها.

كان هنالك عدد من الشخصيات العربية على درجة من الثقافة والعلم،ساهمت في النشاط العلمي في بلاد فارس، فقد أجاد كثير من الأدباء اللغة الفارسية، ودرسوا التراث الفارسي، وساهموا في النشاط الأدبي في بلاط الفارسي، كما كان البلاط الفارسي مزدهراً ومشجعاً للثقافة والعلم.

وصلت العلاقات الودية بين العرب والفرس، إلى إرسال بعض الأمراء لينشأوا في بيئة عربية ويتعلموا اللغة والثقافة العربية، كالأمير بهرام جور بن يردجر الثالث الذي استطاع النعمان ملك الحيرة أن ينشئه تنشئة عربية صحيحة جمع فيها العلم والأدب والثقافة، مع القوة والشجاعة.

نجد أن اهتمام الفرس بالثقافة العربية نجده بعكس ما كان سائداً من أن الفرس كانوا ينظرون إلى العرب باعتبارهم أمة جاهلة لا مساهمة لها في الحياة العلمية والثقافي

المراجع :

أولاً : المراجع العربية :

1. بن الأثير: عز الدين أبو الحسن، (1965م): "1965م"، **الكامل في التاريخ**، دار صادر ودار بيروت.
2. الأصفهاني: أبو الفرج ، (بدون تاريخ): **الأغاني**، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
3. الآلوسي: محمود شكري، "1922"، **بلوغ الأدب في معرفة أخبار العرب**، الطبقة الثالثة، دار الفكر العربي القاهرة.
4. الثعالبي: أبو منصور محمد بن عبد الملك، "1963"، **تاريخ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم**، مكتبة الأسدي طهران.
5. الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر، "1964"، **التاج في أخلاق الملوك**، الطبعة الأولى، تحقيق زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة.
6. الجواليقي: أبو منصور موهوب بن احمد، "1868"، **المعرب من كلام العرب من حروف العجم**، ليبز. ج.
7. الجوهري: إسماعيل بن حماد، "1965"، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة.
8. ابن حبيب: أبو جعفر محمد المحبر، "1896"، **رواية ابي سعيد بن الحسن البكري**، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
9. ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، "2000"، **تاريخ ابن خلدون**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
10. الخزاعي: علي بن محمد بن مسعود، "1985"، **تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحروف والصناعات والعمالات الشرعية**، الطبعة الأولى، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
11. ابن رستة: أبو علي احمد بن عمر، "1891"، **الاعلاق النفسية**، مطبعة بريل لندن.
12. الزوزني: أبو عبد الله الحسين، "1985"، **شرح المعلقات السبع**، مكتبة المعارف، بيروت.

13. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، "بدون تاريخ"، **تاريخ الأمم والملوك**، الطبعة الأولى، مطبعة الحسينية، القاهرة.
14. ابن عبد ربه: احمد بن محمد، "1940"، **العقد الفريد**، تحقيق محمد بن سعيد العريان، دار الفكر، بيروت
15. المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، "1914"، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين، مكتبة السعادة، القاهرة.
16. المفضل الضبي: المفضل بن حجر بن يعلي، "1931"، **المفضليات**، الطبعة السابعة، تحقيق محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة.
17. ابن هشام: أبو محمد عبد الله، "بدون تاريخ"، **السيرة النبوية**، تحقيق محمد السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
18. اليعقوبي: احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب، "1964"، **تاريخ اليعقوبي**، مطبعة مكتبة الحيدرية، العراق.

ثانياً : المراجع الأجنبية :

1. Delacy O Leary: 1927 :**Arabia before Mohammed**. London.